البعد الديني للثورة الجزائريّة من خلال المصطلحات الإسلاميّة: الله أكبر – الجهاد – الفداء – الشهيد

د. بلقاسم شتوان
جامعة الأمير عبد القادر

لا أحد يستطيع أن يفصل المقاتل الجزائريّ عن دينه وعن قيمه الروحيَّة التي تشبّع بها منذ نعومة أظافره، حيث رضعها مع الحليب الذي تكوّن منه جسمه ثمّ من حنان أبويه ومن عطف الأسرة التي ترعرع فيها ومن تكافل المجتمع الجزائريّ الذي احتضنه وهو شاب يافع. فتح عينيه فوجده يصارع الظلم والتهميش والجهل والفقر وتدنيس مقدّساته ونهب خيراته وترويع أهله وتمزيقهم إلى أشلاء كما تفعل الوحوش البريَّة مع الحيوانات الضعيفة. إنّ الجزائريّ الذي عاش هذه الظروف القاسيَّة وعايشها مع الأسرة ومجتمعه حقّ له أن يثور على الظالمين الطغاة وخاصة حين يقرأ في مصحفه أو يذكّره غيره بالآية الكريمة ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[1] لأنّ الاستدمار الفرنسيّ منذ أن وطئت أقدامه أرض الجزائر فهو قتّال ومدمر ومغتصب فحقّت مواجهته بالمثل أي بالقتل وإعداد العدّة له لقوله تعالى:﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ

[1] سورة الحج آية: 39-40.

مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قوَّة وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[2] ولكن القوَّة الماديَّة التي كان يملكها المقاتل الجزائريّ قد تفنّن المستدمر في تحطيمها ومنعه من إعادة بنائها إلاَّ ما كان في الخفاء بعيدا عن عينه فلم تبق له إلاَّ قوَّة الإيمان التي لم يستطع المستدمر الوصول إليها ليحطمها والمتمثلة في: **الله أكبر – الجهاد – الفداء – الشهادة** – هذه القوَّة التي رسخت في قلبه وروحه وعقله.

1 – الله أكـــبر:

فالله أكبر التي هي صفة لذات الله تعالى العظيم الجليل، المتكبِّر الذي تكبَّر عن ظلم عباده والكبرياء عظمته. وفي أسمائه سبحانه وتعالى: المتكبِّر والكبير أي العظيم ذو الكبرياء. وقيل معناه المتعالي عن صفات الخلق. وقيل المتكبِّر على العتاة الطغاة من خلقة. والكبراء العظمة والملك. وقيل هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود ولا يوصف بها إلاَّ الله تعالى. وأمَّا الاستكبار فمعناه الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبُّرا فقد أشار الحق سبحانه وتعالى إلى هذا المعنى بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ

---

[2] – سورة الأنفال آية: 60.

إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[1]. وأمّا معنى الكبر الوارد في قوله ﷺ: «لا يدخل الجنَّة من كان في قلبه مثقال ذرَّة من كبر»[2] هو الشرك بالله. وليس معناه إذا تعالى إنسان مؤمن على مخلوق مثله لا يدخل الجنَّة. فهذا يمكن أن يكون عليه الوزر لأنَّ الاستعلاء عن المخلوقين خلق ذميم.

والله أكبر: فالله هو الاسم الأعظم، والتكبير معناه التعظيم. وقول المصلي في صلاته والمؤذن في آذانه: الله أكبر فيه قولان:

الأول معناه: الله أكبر. فوضع أفعل في موضع فعيل كما ورد في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[3] أي هيِّن عليه. وكما ورد في قول الشاعر:

لعمرك ما أدري وإني لأوجل

أي إني وجل.

---

[1] – سورة الصافات آية: 35.

[2] – حديث رواه مسلم في صحيحه باب تحريم الكبر ج 01 ط دار إحياء التراث العربي تحقيق فؤاد عبد الباقي ص 93.

[3] – سورة الروم آية: 27.

الثاني الله أكبر كبير: مثل الله الأعزّ. أي أعزّ عزيز. ومثله قول الفرزدق:

إن الذي سـمك السماء بنى بيتا دعائمه أعزّ وأطول

أي دعائمه عزيزة وطويلة.

الثالث: قيل معنى الله أكبر: أكبر من كلّ شيء، أي أعظم.

الرابع: معناه الله أكبر من يعرف كنه وكبريائه وعظمته[4].

فالمقاتل الجزائريّ الذي نشأ وترعرع وتربّى على سماع هذه الكلمة من أمّه وأبيه المسلمين يردّدانها في صلاتهما خمس مرات. وسمع المؤذن يردّدها كذلك في أعالي المآذن خمس مرات في اليوم وعند ذبح الأضحيَّة وفي كلّ ذبح ويردّدها جمهور المسلمين في أعيادهم الدينيَّة الفطر والأضحى فأصبحت من غير شكّ زاده وذخره في الاستعانة بها على كلّ شر واللجوء إليها في كلّ خير فهي زاده القوّي وبندقيته المتواضعة عند دخوله المعركة مع عدوّه وبها زلزل من تحت عدوه الأرض وأظلم بها عليه نهاره وضاقت عليه الأرض بما رحبت وبها تلا قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ

---

4 – انظر لسان العرب لابن منظور ج05 ط دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان ص125 وما بعدها.

الثاني الله أكبر كبير: مثل الله الأعزّ. أي أعزّ عزيز. ومثله قول الفرزدق:

إن الذي سـمك السماء بنى بيتا دعائمه أعزّ وأطول

أي دعائمه عزيزة وطويلة.

الثالث: قيل معنى الله أكبر: أكبر من كلّ شيء، أي أعظم.

الرابع: معناه الله أكبر من يعرف كنه وكبريائه وعظمته[4].

فالمقاتل الجزائريّ الذي نشأ وترعرع وتربّى على سماع هذه الكلمة من أمّه وأبيه المسلمين يردّدانها في صلاتهما خمس مرات. وسمع المؤذن يردّدها كذلك في أعالي المآذن خمس مرات في اليوم وعند ذبح الأضحيَّة وفي كلّ ذبح ويردّدها جمهور المسلمين في أعيادهم الدينيَّة الفطر والأضحى فأصبحت من غير شكّ زاده وذخره في الاستعانة بها على كلّ شر واللجوء إليها في كلّ خير فهي زاده القوّي وبندقيته المتواضعة عند دخوله المعركة مع عدوّه وبها زلزل من تحت عدوه الأرض وأظلم بها عليه نهاره وضاقت عليه الأرض بما رحبت وبها تلا قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ

---

4 – انظر لسان العرب لابن منظور ج05 ط دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان ص125 وما بعدها.

اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاَءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾[1] وبها خرج من معركته غير المتكافئة يرسل صوته المدويّ في رحاب السماء وأرجاء الأرض معلنا نصره الساحق على عدوه الغاشم – الله أكبر – الله أكبر – الله أكبر.

فما أجملها من كلمة تقال عند القيام بالمهامّ الكبرى، وأي مهمّة أكبر من تحرير الوطن من المستعمرين الأنجاس وأذنابهم. وكلمة تصيح بها الحناجر وتردّدها الألسن والشفاه عند النصر العظيم. لقد ردّدت هذه الكلمة يوم عيد النصر فاقشعرّت لها أبدان الأعداء فأصمّتهم وأعمت أبصارهم وكانت بردا وسلاما على قلوب المؤمنين الجزائريّين المنتصرين. فهذه الله أكبر التي هي شعار المقاتل الجزائريّ ونشيده. والتي لا عون له إلاّ بالله الكبير. فامتزجت بالثوار وثورة أوّل نوفمبر فكانت نشيدها أيضا الذي يتلا وشعارها المرفوع وشعرها المتلو الخالد وسمتها التي تعرف بها: **الله أكبر– الله أكبر – الله أكبر –**

---

[1] – سورة الأنفال آية: 17– 18.

اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاَءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾[1] وبها خرج من معركته غير المتكافئة يرسل صوته المدويّ في رحاب السماء وأرجاء الأرض معلنا نصره الساحق على عدوه الغاشم – الله أكبر – الله أكبر – الله أكبر.

فما أجملها من كلمة تقال عند القيام بالمهامّ الكبرى، وأي مهمّة أكبر من تحرير الوطن من المستعمرين الأنجاس وأذنابهم. وكلمة تصيح بها الحناجر وتردّدها الألسن والشفاه عند النصر العظيم. لقد ردّدت هذه الكلمة يوم عيد النصر فاقشعرّت لها أبدان الأعداء فأصمّتهم وأعمت أبصارهم وكانت بردا وسلاما على قلوب المؤمنين الجزائريّين المنتصرين. فهذه الله أكبر التي هي شعار المقاتل الجزائريّ ونشيده. والتي لا عون له إلاّ بالله الكبير. فامتزجت بالثوار وثورة أوّل نوفمبر فكانت نشيدها أيضا الذي يتلا وشعارها المرفوع وشعرها المتلو الخالد وسمتها التي تعرف بها: **الله أكبر– الله أكبر – الله أكبر –**

---

[1] – سورة الأنفال آية: 17– 18.

2 - الجـــــــــهاد:

من جهد والجَهد بالفتح، والجُهد بالضم معناه المشقّة والغايَة والمبالغة. وقيل الجَهد بالفتح من قولك أجهد جهدك في هذا الأمر أي أبلغ غايتك. والجُهد بالضم معناه الوسع والطاقة. وقيل هما لغتان في الوسع والطاقة[1]. وجاهد مجاهدة وجهادا قاتل في سبيل الله ومعناه المبالغة في محاربة الأعداء واستفراغ الوسع والطاقة في قتالهم. ويكون بالقول والفعل والتفكير في القضاء على العدوّ بالخطط الحربيَّة التي تقلب نهارهم ليلا وبناءهم خرابا وأجسادهم أشلاء وأموالهم غنائم، ويكون بإخلاص النيَّة لله وتحرير الوطن فقد سأل رجل النبيء ﷺ قائلا: «يقاتل الرجل حميَّة ويقاتل شجاعة ويقاتل في سبيل الله. فقال عليه الصلاة والسلام: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[2]. والمقاتل الجزائريّ نشأ وتربّى على سماع كلمة الجهاد وما أعدّه الله للمجاهدين من أجر ومن علوّ منزلة وكرامة، وخاصة حين يرى بلاده محتلّة وأهله يسومهم العدوّ الصغار والذل والهوان وأبطاله يجرون في السلاسل والأغلال. والدماء مسفوكة والأعراض

---

[1] – انظر ابن منظور لسان العرب ج03 ص 133وما بعدها.

[2] – حديث رواه عبد الرزاق في مصنفه – كتاب الجهاد – باب الشهيد –ج 05 ص 268 – رقم الحديث 9567.

منتهكة والأموال مغتصبة والأمّ مجنونة والأولاد هائمين في العراء. والله سبحانه وتعالى يدعو المؤمنين للجهاد في سبيله ويغريهم بما أعدّ لهم من الأجر والفضل والدرجات ويحذرهم من القعود وما يترتب عليه من ويلات. بقوله: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3] قال ابن كثير في تفسيره: "قرأ أبو طلحة سورة براءة فأتى على هذه الآية فقال أرى ربنا استنفرنا شيوخا وشبانا جهزوني يابني، فقال بنوه يرحمك الله قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتَّى مات. ومع أبي بكر حتَّى مات. ومع عمر حتَّى مات. فنحن نغزو عنك فأبى فركب البحر فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفنوه فيها إلاَّ بعد تسعة أيام فلم يتغير فدفنوه فيها". وقال: "قال الإمام الأوزاعي إذا كان النفير إلى دروب الروم نفر الناس إليها خفافا وركبانا، وإذا كان النفير إلى السواحل نفروا إليها خفافا وثقالا وركبانا ومشاة"[1]. والمجاهد بماله ونفسه مفضل ومبجل على القاعد درجات كثيرة لقوله تعالى: ﴿لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى

---

[3] – سورة التوبة آية: 41.

[1] – انظر تفسير ابن كثير ج 03 ط دار الأندلس ص 403-404.